في قصائد الشاعر بين الشكل والمضمون؛ إذ لا إنحياز الى أحدهما على حساب الآخر. فالانحياز الى الشكل سقوط في شكلية فارغة، هي أشبه بقصر في رمالٍ صحراوية لا يصمد في مواجهة الرياح. والانحياز الى المضمون لا يعدو ـ وبغض النظر عن النيّات ـ عن الوقوع في الخطابية الرنّانة التي لا تصنع فناً ولا تشد قارئاً أو مستمعاً. فالشاعر، الى جانب مضمونه القوي في هذه القصيدة، حرص على أن يعبّر عن هذا المضمون بصور شعرية قوية ترسم مشهداً متكاملاً لما ينبغي ان تكون عليه جنازة الجلّاد والقاتل:

أيـهـا الهـالك الممـدّدُ في الكهف ... يلوك الطريـح مـن أنـفـاسـه
أنـسـيـت الجـلّاد لما تزل ترعش ... عنـقُ المـشـنـوق فـي أمـراسـه

إنه تحريض الشاعر للضحايا، وحثّهم على النهوض من جديد كي لا يظل في الارض جلّاد يسرق قوتهم ويسومهم العذاب.

في ديوانه الآخر «مارد من السنابل»، نلحظ تطوّراً ونضجاً في قصيدة معين، خصوصاً على صعيد الشكل، ونرى ان قصيدة الشاعر أصبحت أكثر سلاسة، وأكثر استجابة لتحديات الواقع. ليس هذا بعيداً عن روح المقاومة التي كتبت في ظلها قصائد المجموعة، والتي جعلت «جبهة المقاومة الوطنية» في قطاع غزة، في العام ١٩٥٦، تصدر منشورها الأول إلى الشعب الفلسطيني وقد تصدره مطلع قصيدة المتاريس:

قد أقبلوا فلا مساومه
المجد للمقاومه
لراية الاصرار شاهقه
للموجة الحمراء من صيحاتنا المعلقه
على الشوارع الممزقه
ولليد المكبّله
ولليد الطليقة المناضله
المجد للجريح والمثقوب قلبه وللمطارد
مدينتي! قد أقبلوا ليلاً من الأظفار والخناجر
وكنت نجمة تقاتل
أضواؤها العريانة السلاسل[٦].

في سياق تجربة معين الشعرية، خصوصاً في المراحل المتقدمة من هذه التجربة، نجد الشاعر يعمد، أحياناً، الى استخدام الرمز. وقد يكون رمزه حيواناً أو طائراً، أراد الشاعر ان يحمّله معاني ومضامين من خلال صورة أليفة تجد لها بعداً في التراث الشعبي. أهمّ مواصفات استخدام الرمز، هنا، هو حضوره الكثيف في الوجدان الشعبي، ومن ثمّ سهولة وصوله الى القارىء دون تعميق أو غموض أو زئبقية تتزجرج وتعصى على التأويل. في قصيدة حملت عنوان «الببغاء والأفيون» قال الشاعر:

الببغاء
طليقة بلا قفص
تنقر في الأفيون